سَقَى اللَّه قبراً ضمَّه غَوْثُ صَيِّبٍ عَليْهِ مَدَى الأيامِ صُبْح غَمامِهِ[1]

(١٧٦)

(السيد زَيْدُ بن مُحمَّد بن الحَسَن ابن الإمام القاسِم بن مُحمَّد)[2]

المُحقّق الكبير، شيخ مشايخ صنعاء في عصره في العلوم الآلية بأسرها. أخذها عنه جماعة من أكابرهم كالسيد هَاشِم بن يَحْيى الشامي، والسيد مُحمَّد الأمير، والسيد أحمد بن عبد الرَّحمن الشامي وغيرهم. ولد في سنة ١٠٧٥ خمسٍ وسبعين وألف، وأخذ العلم عن جماعة من أعيان العلماء كالقاضي العلَّامة عليّ بن يَحْيَى البرطي، والقاضي العلَّامة الحُسين بن مُحمَّد المغربي، والسيد العلَّامة الحَسَن بن الحُسَين بن القاسِم. وكان صدراً مبجلاً معظماً مفخماً، له صورة كبيرة وصولة شهيرة، يهابه ولاة صنعاء، ويخافون من أن يُنهي أمرهم إلى الإمام المهدي مُحمَّد بن أحمد صاحب المواهب. وكان كثير الإجلال له إلى غاية، ويطلبه إلى حضرته مرَّاتٍ، ويعطيه العطاء الواسع. وكان يُؤهَّل للإمامة ويُرجى لها. وقد برع في جميع المعارف لا سيما علم المعاني والبيان فإنّه فنُّه الذي لا يدانيه فيه مدان، ولا يختلف في تفرّده بهذا الشأن اثنان. وشرحه المجاز لمختصر الشيخ لُطف اللَّه الغياث الذي سماه (الإيجاز) في المعاني والبيان يشهد بفضله في هذا العلم، فإنه شَرْحٌ يشرحُ صدر طالب فن المعاني والبيان، لأن الشيخ لُطْف اللَّه ألّف هذا المختصر معتصراً له من تلخيص المفتاح، لكنه ترك من عباراته ما وقعت فيه مناقشة لأحد من الشراح أو أهل الحواشي، وزاد ما لا بد من زيادته. ثم أتى صاحب الترجمة فاعتصر المطول وحواشيه، والمختصر وحواشيه في شرحه، وترك ما فيهما من المباحث التي وقع الاعتراض عليها من أهل الحواشي، ورسم ما هو الصواب، وأنا أظن أن الشيخ لُطْف اللَّه إنما جمع هذا المتن مع قراءة الطلبة عليه للتلخيص وشروحه وحواشيه. وكذلك صاحب الترجمة إنما جمع الشرح مع قراءته كذلك. وكان كثير الأخذ من حاشية الشيخ لطف اللَّه على شرح التلخيص. وقد قُوبل هذا الشرح بالقبول من أعيان العلماء ونقادهم، وإن لم يشتهر بين الطلبة. وما أحقّ من رام حفظ التلخيص أن يستغني عنه بحفظ مختصر الشيخ لُطْف اللَّه. ومن رام القراءة في «المطول» و«المختصر» وحواشيهما أن يقتصر على القراءة في شرح صاحب الترجمة فإنه يستغني بذلك عن مهمات ما في غيره. وإن كان

---

(١) الصَّيِّبُ: السحاب ذو الصَّوْب، أي المطر؛ قال تعالى: ﴿**أو كَصَيِّبٍ من السَّماء فيه ظُلماتٌ وَرَعْدٌ وبَرْقٌ**﴾ [البقرة: ١٩].

(٢) ترجمته في: هدية العارفين: ١/ ٣٧٧؛ إيضاح المكنون: ١/ ٢٩٢، ٢/ ٢٢٦؛ معجم المؤلفين: ٤/ ١٩١؛ نبلاء اليمن: ١/ ٦٨٩؛ الأعلام: ٣/ ٦١.

الطالب الراغب لا يقنع إلَّا بالتبحُّر في كل المعارف، فإنه لا ريب أن في المطول والمختصر وحواشيهما من الفوائد والقواعد ما لا يستغني عنه طالب علم المعاني والبيان. وقد كان شيخنا السيد العلَّامة عبد القادر بن أحمد كثير الثناء على شرح صاحب الترجمة، وكان يرشد طلبة هذا الفن إليه. وأقرأ ولده إبراهيم المتقدم ذكره فيه واستغنى بذلك عن غيره من كتب المعاني والبيان. وكنت أهم في أيام الطلب بجمع حاشية على ذلك الشرح، وأنا إلى الآن غير منقطع الرجاء إن شاء اللَّه. وكان لصاحب الترجمة اعتقاد في الصوفية، وجرت بينه وبين السيد صَلاح بن الحُسين الأخفش في ذلك منافرة بسبب رجل كان يملي الأذكار في جامع صنعاء جهراً يقال له «القبتين»، فأنكر عليه السيد صلاح، فألف صاحب الترجمة رسالة سماها (تشييد أركان القبتين) ذكر فيها مباحث أصولية وأحاديث. ورأيت له رسالة أخرى في تبيين الفرقة الناجية، وأحسن القول فيها ورجَّح أنهم من كان على النمط الذي كان عليه الصحابة. وله جواب على (النبراس) الذي اعترض به الكردي على (الأساس)، ولكنه مات قبل تمامه. وكان قد سمَّاه (الرد بالقسطاس). و(مات) رحمه اللَّه في سنة ١١٢٣ ثلاثٍ وعشرين ومائة وألف، ورثاه السيد العلَّامة عبد اللَّه بن علي الوزير بأبيات مشتملة على تاريخ وفاته وهي هذه: [من الرمل]

هاهنا علَّامةُ الدنيا فَزُرْ ... قَبْرَهُ تَحْظَى بأنوارٍ وتَسْعَدْ
هُو سَعْدُ الدين في تحقيقِهِ ... وَهْوَ عند اللَّه في التحقيقِ أسْعَدْ
لَقيَ اللَّه فأرّخ (جال في ... جنةِ الفِرْدَوسِ زَيْدُ بن مُحمَّدْ)

سنة ١١٢٣.

وقُبِرَ بقبته المتصلة بمدرسة الإمام شرف الدين بصنعاء، وله شعر حسن فمنه: [من مجزوء الرمل]

جَمَعَ الحُسْنَ فأَضْحَى ... سَاكناً بين ضُلوعي
بأبي جَامع حُسْنٍ ... وَقْفه جَاري دُموعي

وله قصيدة عارض بها قصيدة ابن زريق[1] التي أولها: [من البسيط]

لا تَعْذِليه فإنَّ العَذْلَ يُولعُهُ ... قَدْ قلتِ حقّاً ولكِنْ لَيْسَ يَسْمعُهُ[2]

---

(١) هو أبو علي، الحسن بن زريق الكوفي: شاعر، كاتب، عاش في الكرخ (الجانب الغربي من بغداد)، ويبدو أن حاله في بغداد رقّت، فرحل إلى الأندلس متكسباً بشعره، فأخفق. ويقال: إنه توفي هناك كمداً، سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٩٠).

(٢) العَذْلُ: اللوم. يولعه: يزيده كَلَفاً وتَعلُّقاً.

ومطلع قصيدة صاحب الترجمة: [من البسيط]

بـانـوا فَـسـالـتْ عـلـى خَـدّيْـهِ أَدْمـعُـهُ مُورقُ الجَفْنِ مُغْرَى القَلْبِ مُوجَعُهُ[١]

وَوَلَدُ صاحب الترجمة هو (العلَّامة مُحَمَّد بن زَيْد) من أعيان العلماء، لا سيما في علم المعاني والبيان، فإنه من المبرّزين فيه. وكان مقبول الكلمة عند الإمام المنصور باللَّه الحُسين بن القاسِم، وله به اتصال. ومن ذُرِّية صاحب الترجمة في عصرنا هذا:

(١٧٧)

(السيد العلَّامة مُحمَّد بن يَحْيَى بن أحمد بن زَيْد بن مُحمَّد)

وهو من أعيان السادة آل الإمام، وله معرفة تامة بفنون من العلم. وقد رافقته في قراءة كتاب اللَّه عز وجلَّ في المكتب، وترافقنا في قراءة الفقه وبعض الآلات في أيام الصغر. ولعلّ مولده سنة (١١٧٠) أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل، وبيني وبينه مودّة أكيدة ومحبة صادقة. وله عرفان بعلم الطب. وقد انتفع به الناس فيه، لا سيما في هذه الأيام بعد موت السيد يَحْيَى بن مُحمَّد بن عبد اللَّه بن الحُسَين بن القاسِم، فإن الناس عوّلوا عليه، وانتفعوا به. وهو الآن مُستمرٌّ على حاله الجميل، من أكابر آل الإمام رياسةً ورفعةً وشهرةً.

(١٧٨)

(السيد زَيْد بن يَحْيَى
ابن الحُسَين بن المُؤيَّد ابن الإمام القَاسِم بن مُحمَّد)[٢]

الصَّنعاني. ولد يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذي الحجَّة سنة ١٠٧٧ سبع وسبعين وألف، وقرأ على السيد الحَسَن بن الحُسَيْن بن القَاسِم المُتقدِّم ذكره، وعلى القاضي حُسَيْن بن عبد اللَّه المَسْعُودي. وبرع في العلوم الأدبية، وقال الشعر الحسن، فمنه القصيدة التي مطلعها: [من الخفيف]

قُـمْ فـقـد ألـمَّـتْ صَـبـا الإبْـكَـارِ واكْـتَـسـى الأُفـق حُـلَّـة الأنـوارِ[٣]

واحْـتَـلـى جِـيـدُه قِـلادةَ تِـبْـرٍ مـن سَـنَا الـشَّـمسِ بَـعْـدَ دُرِّ الـدَّرارِي[٤]

---

(١) بانوا: رحلوا وابتعدوا.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٤/ ١٩١؛ نشر العرف: ١/ ٧٠٠.

(٣) الصَّبا: ريح ناعمة تهبُّ من الشرق. الإبكار: أول النهار إلى طلوع الشمس؛ قال تعالى: ﴿**وسَبِّحْ بالعَشِيِّ والإبكار**﴾ [آل عمران: ٤١].

(٤) احتلى: تحلَّى: لبس حلية. التِّبْرُ: الذهب، أو فُتاته قبل أن يصاغ. الدَّراري: النجوم.